اعلام

قصيدة اخت الوليد بن طريف

Rectification de certains noms propres.

١ — توطئة

أجود اشعار العرب مراثيها . والقصيدة التي رثت بها الفارعة او فاطمة او لبلى بنت طريف بن الصلت بن طارق بن سبيجان بن عمر بن مالك الشيباني اخاها الوليد بن طريف الشاري رأس الخوارج في خلافة هرون الرشيد من هذا الجيد المروي يدلك على ذلك اهتمام اللغويين والمؤدبين بها واستشهادهم ببعض ابياتها .

واول ما اتصل بنا من هذه القصيدة بيتان نقلهما ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ (٩٢٢ م) في عرض كلامه على مقتل الوليد في حوادث سنة ١٧٩هـ ٧٩٥ م اذ يقول (١) :

« وفيها رجع الوليد بن طريف الشاري الى الجزيرة واشتدت شوكته وكثر تبعه فوجه الرشيد اليه يزيد بن مزيد الشيباني (٢) فراوغه يزيد ثم لقيه وهو مغتر فوق هيت فقتله وجماعة كانوا معه وتفرق الباقون فقال الشاعر :

وائل بعضها يقتل بعضا لا يفل الحديد إلّا الحديد

وقالت الفارعة اخت الوليد :

ايا شجر الخابور ما لك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف

فتى لا يحب الزاد إلّا من التقى ولا المال إلّا من قنا وسيوف

واعتمر الرشيد في هذه السنة في شهر رمضان شكرا لله على ما ابلاه في الوليد ابن طريف فلما قضى عمرته انصرف الى المدينة فأقام بها الى وقت الحج ثم حج بالناس فمشى من مكة الى منى ثم الى عرفات وشهد المشاهد والمشاعر ماشيا ثم انصرف على طريق البصرة .

---

١) تاريخ الدول والملوك جزء ١٠ صفحة ٦٥ من طبعة مصر .

٢) ترجمة يزيد بن مزيد في وفيات الاعيان ج ٢ ص ٣٧٤ من طبعة بولاق سنة ١٢٩٩ ١٨٨٢ م .

واما الواقدي فانه قال: «لما فرغ من عمرته اقام بمكة حتى اقام للناس حجتهم» الخ.

ويأتي بعده ما نقله ابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ٩٤٠ م الذي يقول(١):

« وقالت اخت الوليد بن طريف ترثي اخاها الوليد بن طريف :

فيا شجر الخابور مالك مورقا ... كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يريد العز إلّا من التقى ... ولا المال إلّا من قنا وسيوف
فقدناه فقدان الربيع فليتنا ... فديناه من ساداتنا بألوف
خفيف على ظهر الجواد اذا غدا ... وليس على اعدائه بخفيف
عليك سلام الله وقفا فانني ... ارى الموت وقاعا بكل شريف

وقد ساق ابو الفرج الاصبهاني المتوفى سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م) قصة الوليد بن طريف الشاري بعد ان نسب تلك المرثية الى ليلى اخت طريف ونقلها على الوجه الاتي (٢) :

١ بتل نياتي رسم قبر كأنه ... على علم فوق الجبال منيف
٢ تضمن جودا حاتميا ونائلا ... وسورة مقدام ورأي حصيف
٣ ألا قاتل الله الجثا كيف اصمرت ... فتى كان بالمعروف غير عنيف
٤ فان يك ارداه يزيد بن مزيد ... فيارب خيل قضها وصفوف
٥ ألا يا لقومي للنوائب والردى ... ودهر ملح بالكرام عنيف
٦ وللبدر من بين الكواكب اذ هوى ... وللشمس همت بعده بكسوف
٧ ايا شجر الخابور مالك مورقا ... كأنك لم تحزن على ابن طريف
٨ فتى لا يحب الزاد إلّا من التقى ... ولا المال إلّا من قنا وسيوف
٩ ولا الخيل إلّا كل جرداء شطبة ... وكل حصان باليدين عروف
١٠ فلا تجزعا يا ابني طريف فانني ... ارى الموت نزالا بكل شريف
١١ فقدناك فقدان الربيع وليتنا ... فديناك من دهمائنا (٣) بألوف

وعاد فروى البيت السابع والبيت الثامن من هذه القصيدة وعززهما بالتاسع ولكنه نقله على هذا الوجه :

---

١) العقد الفريد طبع المطبعة الشرقية ج ٢ ص ١٦.
٢) الاغاني ج ١١ ص ٨ طبع مصر .
٣) يقول مصحح الاغاني وروي ساداتنا .

ولا الذخر إلّا كل جرداء صلدم وكل رقيق الشفرتين خفيف

ومن الذين استشهدوا ببعض ابيات هذه القصيدة ابو علي القالي المتوفى سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٦ م) ايضا فقد ذكر الابيات الثلاثة المتقدمة التي اعاد روايتها الاصبهاني ولم يغير منها إلّا كلمة «تحزن» بـ «تجزع» والحقها ببيت رابع هو :

عليك سلام الله حتما فانني ارى الموت وقاعا بكل شريف

ومع استشهاد ابي علي هذه الابيات فانه لم ينسبها الى قائلتها بل اقتصر على قوله وانشدني بعض اصحابنا (١).

ومنهم ابو هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ (١٠٠٤ م) فقد قال : ومن الكلام المستوي النظم الملتئم الرصف قول بعض العرب(٢) » ونقل البيت السابع والبيت الثامن على الوجه الذي نقله القالي إلّا انه نقل البيت التاسع كما يلي :

ولا الخيل إلّا كل جرداء شطبة واجرد شطب في العنان حنوف

ثم اردفها بالبيتين الاتيين :

كأنك لم تشهد طعانا ولم تقم مقاما على الاعداء غير خفيف

فلا تجزعا يا ابني طريف فانني أرى الموت حلالا بكل شريف

ونقل المطهر بن طاهر المقدسي بعض ابيات هذه القصيدة التي عزاها الغارعة بنت الطريف على ما يلي (٣) :

الا يا لقوم للحتوف (٤) وللبلى وللدار لما ازمعت بخسوف

وللبدر من بين الكواكب اذ هوى وللشمس همت بعده بكسوف

وللبيت فوق النعش اذ يحملونه الى وهدة ملحودة وسقوف

بكت جشم لما استقلت عن العلى وعن كل هول بالرجال مطيف

ايا شجر الخابور ما لك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف(٥)

فتى لا يعد الزاد إلّا من التقى ولا الكال إلّا من قنى وسيوف

وفي هذه الابيات من التصحيف والتحريف اكثر من سواها مع ان ناشر

---

١) كتاب الامالي ج٢ ص ٢٧٨ (٢) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ص ١٢٣

٣) البدء والتاريخ ج ٦ ص١٠٢ (٤) في النص المطبوع للحبوف جمع حيف (ل.ع) (لغة العرب)

٥) في النص المطبوع ابن الطريف .

الكتاب المستشرق الافرنسي الاستاذ كليمان هوار المتوفى سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦م) هو من المتأخرين ولا بد ان يكون اطلع على رواياتها العديدة فكان حقيقا به ان يعلق على الابيات ويصحح اغلاطها في حواشيه ونقل ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ١٢٢٨ م البيت السابع والبيت الثامن على الوجه الذي نقلهما القالي في اماليه والعسكري في الصناعتين (١).

ونقل ابن الاثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣٢ م) القصيدة كما هي في الاغاني إلّا انه وقع فيها بعض التصحيفات فجاء بتاتا بدل نباتي في صدر البيت الاول وقلب بدل رأي في عجز البيت الثاني وعفيف بدل عنيف في عجز الثالث وقد بدل إذ في صدر السادس وتجزع بدل تحزن في عجز السابع (٢).

وأكثر العلماء اهتماما بهذه القصيدة هو ابن خلكان المتوفى ٦٨١ هـ (١٢٨٢ م) فقد قال في ترجمة الوليد المذكور وكان له اخت تسمى الفارعة وقيل فاطمة تجيد الشعر وتسلك سبيل الخنساء في مراثيها لاخيها صخر فرثت الفارعة اخاها الوليد بقصيدة أجادت فيها وهي قليلة الوجود ولم أجد في مجاميع كتب الادب إلّا بعضها فاتفق اني ظفرت بها كاملة فاثبتها لغرابتها مع حسنها وهي هذه (٣) :

١ بتل نها كي رسم قبر كأنه ... على جبل فوق الجبال منيف
٢ تضمن مجدا عدميا وسؤددا ... وهمة مقدام ورأي حصيف
٣ فيا شجر الخابور ما لك مورقا ... كأنك لم تحزن على ابن طريف
٤ فتى لايحب الزاد إلّا من التقى ... ولا المال إلّا من قنا وسيوف
٥ ولا الذخر إلّا كل جرداء صلدم ... معاودة الكر بين صفوف
٦ كأنك لم تشهد هناك ولم تقم ... مقاما على الاعداء غير خفيف
٧ ولم تستلم يوما لورد كريهة ... من السرد في خضراء ذات رفيف
٨ ولم تسع يوم الحرب والحرب لاقح ... وسمر القنا ينكزنها بالوف
٩ حليف الندى ماعاش يرضى به الندى ... فان مات لايرضى الندى بحليف
١٠ فقدناك فقدان الشباب وليتنا ... فديناك من فتيانا بألوف

١) معجم البلدان ج ٢ ص ٣٨٣ طبع ليبسك .
٢) كامل التواريخ ج ٦ ص ٤٧ — ٤٨ (٣) وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٣٦

١١ ومازال حتى ازهق الموت نفسه شجا العدو او نجا الضعيف
١٢ ألا يا لقومي للحمام وللبلى وللارض همت بعده برجوف
١٣ ألا يا لقومي للنوائب والردى ودهر ملح بالكرام عنيف
١٤ وللبدر من بين الكواكب اذ هوى وللشمس لما ازمعت بكسوف
١٥ وللبيت كل البيت اذ يحملونه الى حفرة ملحودة وسقيف
١٦ ألا قاتل الله الحشى كيف اضمرت فتى كان للمعروف غير عيوف
١٧ فان يك ارداه يزيد بن مزيد فرب زحوف لفها بزحوف
١٨ عليك سلام الله وقفا فانني أرى الموت وقاعا بكل شريف(١)

قال ولها فيه مراث كثيرة ذكر بعضها ومن جملتها البيت الذي نقله الطبري وعزاه الى الشاعر وقد ذكره في ترجمة يزيد بن مزيد الشيباني ضمن ابيات هي : (٢) .

يابني وائل لقد فجعتكم من يزيد سيوف بالوليد
لو سيوف سوى سيوف يزيد قاتلته لافت خلاف السعود
وائل بعضها يقتل بعضا لايفل الحديد غير الحديد

وقد شرح ابن خلكان موضع التل فقال وتل نهاكي اظنه في بلد نصيبين .

وقد نقل عبدالرحيم بن احمد بن عبدالرحمن العبادي العباسي(٣) المتوفى سنة ٩٦٣هـ ١٥٥٥م. القصيدة كما نقلها ابن خلكان إلّا انه سمى اخت الوليد بليلى وابدل من القصيدة بعض كلماتها مثل نباثا بدل نهاكي وعلم بدل جبل «وجودا حاتميا ونائلا» بدلا من « مجدا عدمليا وسؤددا » وسورة بدل همة وقلب بدل رأي وأيا بدل فيا وتجزع بدل تحزن ولفيف بدل رفيف وواقع بدل لافح وينهزنها بدل ينكزنها ولم يرض بدل لايرضى ولجا بدل نجا وبرجيف بدل برجوف وقد هوى بدل اذ هوى والردى بدل الحشى وعليه بدل عليك ...

١) وهذه الابيات ذكرها محمد الخضري في كتابه محاضرات تاريخ الامم الاسلامية في ص ١٤٢ و ١٤٣ باختلاف في كلمتين من البيتين الـ ١٦ والـ ١٨ فقال حيث واوداه في مكان كيف وارداه وهما ضعيفتان في موقعيهما هنا . (لغة العرب)

٢) وفيات الاعيان ج ٢ ص ٣٧٥ .

٣) معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص ج ٢ ص ٥٠

وقد قال عن البيت الثاني : ورأيت في تاريخ ابن خلكان هذا البيت على غير هذا الوضع وهو :

تضمن مجدا عاصميا وسؤددا وهمة مقدام ورأي حصيف

وتقدم معنا ان ابن خلكان قد نقله : تضمن مجدا عدمليا «الخ» .

وحدث في الطبع غلط في « بتل » فجاءت « نثل » ولعل القصيدة نقلت في كتب اخرى وبصور مختلفة لم نطلع عليها .

وقد جاءنا احد المعاصرين وهو الاستاذ السيد عبد الله العفيفي المصري (١) برواية جديدة للقصيدة لم يشر الى مصدرها وهي اطول مما تقدمها من الروايات وفي كلماتها بعض اختلاف وهي منسوبة الى ليلى بنت طريف التغلبية :

بتل نباتي رسم قبر كأنه على جبل فوق الجبال منيف
تضمن جودا حاتميا ونائلا وسورة مقدام ورأي حصيف
ألا قاتل الله الحشى كيف اضمرت فتى كان للمعروف غير عيوف
فالا تجبني دمنة هي دونه فقد طال تسليمي وطال وقوفي
وقد علمت ان لاضعيفا تضمنت اذا عظم المرزى ولا ابن ضعيف
فتى لا يلوم السيف حين يهزه على ما اختلى من معصم وصليف
فتى لم يحب الزاد إلا من التقى ولا المال إلا من قنا وسيوف
ولا الخيل إلا كل جرداء شطبة واجرد عالي المنسجين غروف
فقدناه فقدان الربيع وليتنا فديناه من فتياننا بألوف
وما زال حتى ارهق الموت نفسه شجا لعدو او لجا لضعيف
حليف الندى ان عاش يرضى به الندى وان مات لا يرضى الندى بحليف
فان يك ارداه يزيد بن مزيد فرب زحوف فضها بزحوف
فيا شجر الخابور ما لك مورقا كأنك لم تحزن على ابن طريف
ألا يا لقومي للنوائب والردى ودهر ملح بالكرام عنيف
وللبدر من بين الكواكب اذ هوى وللشمس همت بعده بكسوف
وللبيت فوق النعش اذ يحملونه الى حفرة ملحودة وسقوف

١) المرأة العربية في جاهليتها واسلامها ج ٢

بكت تغلب الغلبـاء يوم وفاته وابرز منها كل ذات نصيف
يقلن وقد ابرزن نعشك للورى معاتد حـلي من برى وشنوف
كأنك لم تشهد مصاعا ولم تقم مقاما على الاعداء غدو خفيف
ولم تشتمل يوم الوغى بكتيبة ولم تبد في خضراء ذات رفيف
عليك سـلام الله وقفا فانني أرى الموت وقاعا بكل شريف

٢ — تل نباتى والحشى

وقد حشى الاستاذ العفيفي على نباتى فقال : عين بالبصرة كما ان طابع كتاب الاغاني حشى عليها بمثل ذلك نقلا عن القاموس (١) على ان الذي في معجم البلدان لياقوت نباتى بالفتح والضم اسم جبل (٢) ولم يعين موضعه .

وكذلك حشى السيد العفيفي على الحشى فقال عنها : عين قرب المدينة والذي في ياقوت : الحشى واد بالحجاز وجبل الابواء بين مكة والمدينة وموضع في ديار طيىء (٣)

٣ — نفي الصلة بين الخابور ونباتى والحشى

وأنت ترى ان لا صلة لحادثة في الخابور بعين في البصرة واخرى بالحجاز والخابور نهر كبير بين رأس عين والفرات من ارض الجزيرة له ولاية واسعة وبلدان جمة غلب عليها اسمه فنسبت اليه وآخر شرقي دجلة الموصل (٤) .

وقد وردت نباثا وبتاثا بالمثلثة والحشى باسم الحسى بالسين المهملة والجثى بالمثلثة ولا شك في انها جميعا صحفت عند النقل على ان للاخيرتين في اللغة ما يشفع لهما ويجعلهما اقرب للمعنى من تلك العين او ذلك الجبل . فالحسى كما لى ، سهل من الارض يستنقع فيه الماء او غلظ فوقه رمل يجمع ماء المطر وكلما نزحت دلوا جمعت اخرى جمعها احساء وحساء (٥) .

١) الاغاني ج ١١ ص ٨ والذي في قاموس المحيط والقابوس الوسيط للفيروزابادي ج ١ ص١٦٤ من طبع المبمنية بمصر نباتى كسكارى عين بالبصرة .
٢) معجم البلدان ج ٤ ص ٧٣٥
٣) » » ج ٢ ص ٢٧٢
٤) » » ج ٢ ص ٣٨٣
٥) القاموس ج ٤ ص ٣١٨

وجثا الحرم بالضم والكسر ما اجتمع فيه من الحجارة التي توضع على حدود الحرم او الانصاب تذبح عليها الذبائح (١) .

واذا جاز لنا ان نبعد المدى ونطلق لانفسنا عنان الاشتقاق والتمحل فنستطيع ان نقول ايضا في صدد نباثا ونبيث : النبيثة تراب البئر والنهر (٢) .

٤ـ الرجوع الى الروايات الخطية

إلّا ان كل هذا ليس بالذي عنته الشاعرة التي كانت متأثرة بمصيبتها الفادحة فكانت تستعين بما حولها من النبات والجماد فذكرت التل وارتفاعه والخابور وشجره والجثا واضمارها تلك الروح الثائرة .

بقي علينا ان نتثبت في صحة هذه الاعلام التي وردت في هذا الشعر الصادر من صدر مكلوم ونفس مهتاجة ولا سبيل لنا الى ذلك إلّا بالرجوع الى بعض المخطوطات التي جاء ذكرها فيها .

وقد كنت قرأت في فهرس دار الكتب المصرية (٣) ان فيها نسخة مخطوطة من الجزء الثاني من وفيات الاعيان وفي هذا الجزء ترجمة الوليد بن طريف الشاري فاطمأنت نفسي الى انني اجد ضالتي فيها فكتبت الى مدير الدار اسأله المعونة على هذا التحقيق البسيط الذي ضيقت دائرته وحصرته في كلمتين اثنتين هما نباتي والحشى ومضى الشهر تلو الشهر فلم يحر المدير جوابا فقلت لعل له عذرا وانا اللوم .

بيد انني اقول بكل اسف انني ما سألت عالما غربيا من المستشرقين ودور الكتب الاوربية سؤالا من هذا القبيل إلّا اجبت عنه بدقة وتفصيل اكثر مما طلبت . هذا و انا اكتب للقوم باللغة الضادية لا برطانتهم الاعجمية فيتحملون عناء الترجمة والبحث والاستقصاء والاجابة في حين ان جارتنا الشرقية تضن علينا بفتح صفحة من الكتاب وكتب بضع كلمات دون اضطرار لترجمة او تعريب . ثم رجعت الى موظف كبير من موظفي الدار وسألته نفس السؤال فكان نصيبي من الثاني كنصيبي من الاول وكان اسفي من هذا اشد لانني انزلت آمالي بمن خيبها .

١) القاموس ج ٤ ص ٣١٢

٢) « ج ١ ص ١٨٢

٣) فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة الخديوية المصرية ج ٥ ص ١٧٥

ولذلك اضطررت الى صرف الاستاذ سليم افندي قبعين صاحب مجلة الاخاء في القاهرة عن عمله عدة ساعات وحملته على الذهاب الى دار الكتب المصرية ومراجعة الكتاب المذكور وبالرغم من كثرة مشاغله الصحافية فقد كتب الي يقول :

راجعت الجزء الاخير من وفيات الاعيان الذي تم نسخه في اواخر ذي القعدة الحرام من شهور سنة ١٠٤٣هـ ١٦٠٤ م على يد عبد الكريم بن احمد بن العسكر بن محمد بن عمر بن علي بن جريشة المزي بلدا الصالحي منشأ الحنفي مذهبا الحنيفي ملة فاذا به يقول :

« وكان للوليد المذكور أخت تسمى الفارعة وقيل فاطمة [وقيل انها لعبد الملك بن بجرة النمري الرسعني وقيل لمنصور بن بجرة يرثي بها الازرق بن طريف النمري] تجيد الشعر وتسلك سبيل الخنساء في مراثيها لاخيها صخر الى آخر ما في النسخة المطبوعة اما القصيدة فقد جاء في مطلعها :

بتل بنائى رسم قبر كأنه ...

وفي البيت السادس عشر :

الا قاتل الله الحمى حيث أضمرت ..

وقد مد الناسخ الحاء وجعل في وسطها سينا وجاء في العبارة التي اوردها تحت القصيدة : وتل بنائى في برية الموصل في بلد نصيبين .

٥ — الاختلاف بين المخطوط والمطبوع

ان الجملة التي وضعناها بين عضادتين وهي [وقيل انها لعبد الملك الخ] . لم ترد بتاتا في المطبوع وليس هناك محلها ولعلها سقطت بعض كلماتها وكانت ترمي الى ان القصيدة قيل انها لعبد الملك او المنصور وعلى كل حال فقد اتتنا هذه العبارة بشيء جديد في الرواية .

واهم الاختلاف هو في التل ففي المطبوع نهاكى وفي شرحه اظنه في بلد نصيبين وفي المخطوط : بنائى وفي شرحه في برية الموصل في بلد نصيبين كما تقدمت الاشارة اليه .

ومن الاختلافات ورود الحثا في المخطوط وان كانت تقرأ الحشا ايضا لان الناسخ مد في الحاء والثاء ووضع فوقها النقط الثلاث . والذي في المطبوع الحشى وليس من الاختلاف بين المخطوط والمطبوع في القصيدة مايؤبه له سوى « ينهزنها » بدل «ينكزنها» في عجز البيت الثامن من رواية ابن خلكان و«عفيف» بدل «عنيف» في عجز الثالث عشر و«حفرة» بدل «حفرة» و«شقيف» بدل «سقيف» في عجز الخامس عشر وهي تصحيفات بسيطة ظاهرة لاتغير المعنى ولاتؤثر عليه وهي من فعل النساخ .

٦ — وجه الصواب في هذين العلمين

بالرغم من ان النسخة المخطوطة من وفيات الاعيان التي نقلنا عنها تقول بتل بناثى بالباء الموحدة التحتية والنون الموحدة الفوقية اننا نرجح ان الناسخ قد اقتصر على وضع نقطة واحدة على الثانية فتكون الروايات المتكاثرة على انها نباتى هي مصحفة عن بناثا التل الواقع في برية الموصل في بلد نصيبين اذ لاعلاقة ابدا لنباتى العين بالبصرة في حادثة بالخابور

اما الحشى فاذا لم تكن قد تصحفت عن الحثا وقد تقدم الكلام عليها فيكون قصد الشاعرة ان تلك الحجارة بالرغم من انها في نظرها هي كالتي توضع على حدود الحرم او هي كالانصاب التي تذبح عليها الذبائح فهي تدعو عليها وتقول قاتلها الله لأنها اضمرت ذلك الفتى الفذ والجثوة مثلثة الحجارة المجموعة إلم تكن مصحفة عن ذلك فهي اسم موضع يغلب ان يكون الحشى .

ولا ادري أاسم الموضع هو «الحشى» ام حسكة التي نسبت الى الحسك — وهو نبات له شوك — ويكثر نبته فيها كان السكان ولا يزالون يلفظونها بصورة احسجه فتكاد تسمع السين والجيم من افواههم كانها شين كما اكد لي احد الذين اوصلتهم الرحلة الى تلك الجهات هي التي عنتها الشاعرة بقولها :

لا قاتل الله الحشى كيف اضمرت...

فاذا كان اسمها الاصلي الحشى فيكون قد تحرف هذا الاسم اليوم فأصبح يلفظ حسجة وهي اليوم قرية على ضفة الخابور في الحد القاصي لسورية .

والذي يجعلنا نميل الى الاخذ بهذا الرأي هو ما كتبه صديقنا الوطني الكبير الاستاذ السيد فارس الخوري الدمشقي عن حسجة عند ما كان مبعدا اليها ورفقاءه

الاحرار السوريين انه سأل اهلها عن الوليد بن طريف فأجابوه بأنه يوجد قبر على الخابور يبعد ساعات عن حسجة يسمونه قبر ابن طريف ويحسبونه من اولياء الله قال: أما اسم التل فقد تبدل (١).

٨ — الخلاصة

وبعد فان في اختلاف روايات الرواة والنقلة الذين ذكروا تلك المرثاة الطائرة الصيت البعيدة مدى الشهرة ما يؤيد ظنون الاستاذ عبد اللطيف ثنيان في الاغلاط التي وقعت في طبعات وفيات الاعيان واتى على بعضها في مقالته «كتاب وفيات الاعيان» (٢) بل نرى ان الغلط والتصحيف لم يقعا في الكلمات والمعاني بل تعدياهما الى الاعلام كما بسطناه لك في ثنايا هذا الكلام.

وربما كان الخطب يسيرا في كتاب وفيات الاعيان اذا قيس بغيره فان اغلاطه تكاد تستقصى وتحصى.

والذي علمته بالممارسة والاختبار ان اكثر الاشعار تصحيفا هي التي وردت في كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي الذي يظهر ان ف. وستتفلد طبعه عن نسخة مخطوطة قليلة الاعجام فجاء مشحونا بالاغلاط والتحريفات.

وتكاد تضيق الصحف عن ان تسع امثلة من تلك التصحيفات الكثيرة التي نقلت الى الطبعات المصرية حذو النعل بالنعل دون نقد او تمحيص.

والذي زاد الطين بلة طبعه للمرة الثانية في ليبسك سنة ١٣٤٤ هـ ١٩٢٥ م بالزنكوغراف نقلا عن الطبعة الاصلية وبحروفها فاصبحت نسخه المتداولة بالايدي مغلوطا في اشعارها.

حيفا (فلسطين) عبدالله مخلص

«لغة العرب» في خزانتنا ثلاث نسخ خطية من وفيات الاعيان لابن خلكان: اثنتان منها غير تامتين وواحدة تامة فالنسخة الاولى تبتدئ بالهمزة وتنتهي بآخر حرف السين اي بسهل بن محمد الصعلوكي وليست بمؤرخة لان الورقات الخمس الاخيرة مزقت ووضع في مكانها الورقات جديدة فيكون هذا

١) مجلة المورد الصافي البيروتية م ١٢ ص ٨٩

٢) «لغة العرب م ٥ ص ٥٠٨

الجزء بمثابة المجلد الاول من الكتاب المذكور .

والنسخة الثانية تنضم على الجزء الثاني والثالث والخامس وهي بحجم صغير طول الصفحة من كل منها ١٧ سنتيمترا في عرض ١٢ وكلها بخط مؤلفها كما هو مكتوب عليها فهي من هـذه الجهة من نفس النسخ . والجزء الثاني يبتدئ ببعض حرف الحاء وينتهي بحرف العين المهملة والجزء الثالث يبتدئ بأبي الفرج عبدالرحمن بن ابي الحسن علي الجوزي الى ابي عمرو بن العلاء احد القراء السبعة والجزء الخامس يبتدئ بالمسبحي وينتهي بالحاكم بامر الله العبيدي . اما بقية الاجزاء فقد سرقت في سقوط بغداد في آذار سنة ١٩١٧ ولم نتمكن من استعادتها .

والاجزاء تكاد تنهرأ من تداول الايدي لها وفي اوائل صفحاتهـا اسماء العلماء الذين طالعوها والورق يشهد على انها للمؤلف فضلا عن ان اسم المؤلف مذكور في كل جزء من هذه الاجزاء الثلاثة ولسوء الحظ لم نجد في الجزء الخامس ترجمة الوليد بن طريف الشاري لنبحث فيها عن الرواية الاصلية بخط المؤلف .

اما النسخـة الخطية التامة التي عندنا فدونك حروفها الاخيرة كما هي : «نجز الكتاب المسمى وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان بحمد الله تعالى ومنه وكرمه وذلك في نهار الخميس ثامن عشر شهر شوال سنة ثلث وخمسين وثمانمائة من الهجرة النبوية على صاحبها من الله افضل الصلوة والسلام » .

وفي النسخة ٨١٣ صفحة دقيقة الحروف بديعـة الخط ترمذية الورق والاعلام مكتوبة بالحمرة في قلب السطر ومكررة في خارجه وفي كل صفحة ٢٩ سطرا . وطول الصفحة ٢٨ سنتيمترا في عرض ١٦ وطول المكتوب من الصفحة ٢٠ سنتيمترا في عرض ١١ وقد عبثت به الارضة كل العبث وقد تعرضت بنوع خاص للحواشي البيض التي ترى حول الكتابة وان اضرت بالكتابة في بعض المواطن إلّا ان الطائفة الكبرى من الصفحة محفوظة احسن حفظ وبعض الالفاظ مضبوطة ضبطا كاملا بديعا لايبقي للمحقق ريبا في ما يطالعه . وبين هذا النص المخطوط والنص المطبوع طبعات عديدة فروق جليلة ولهذا يحسن بالعلماء ان يعيدوا طبع هذا السفر النفيس الذي هو من كنوز لغتنا ويعارضوا نسخه بعضها ببعض وهو مما يقيم للسلف الشرف السامق الباذخ بين علماء مصنفي التراجم

وقد طالعنا القصيدة التي يشير اليها صديقنا « المخلص » فرأينا فيها اختلافات طفيفة واليك نقلها (عن ص ٥٨٩ من نسختنا) :

١ بتل نهـا كى رسم قبر كأنه على جبل فوق الجبـال منيف
٢ تضمن مجـدا عندليـا وسوددا وهمة مقـدام ورأي حصيف
٣ فيا شجر الخابور ما لك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف
٤ فتى لا يحب الزاد إلّا من التقى ولا المال إلّا من قنا وسيوف
٥ ولا الذخر إلّا كل جرداء ملنم وكل رفيق السفر بين حليف
٦ كأنك لم تشـهد هناك ولم تقم مقاما على الاعـداء عين خفيف
٧ ولم تستلم يوما لدى كريهـة من الرد في خضراء ذات رفيف
٨ ولم تسع يوم الحرب والحرب لاقح وسمر القنـا تنهزنها بأنوف
٩ حليف الندى ماعاش يرضى به الندى فان مات لا يرضى الندى بحليف
١٠ فقدناك فقدان الشباب وليتنا فديناك من فتياننـا بألوف
١١ وما زال حتى الموت نفسه ضحى شجا لعـدو او نجا لضعيف
١٢ ألا يا لقومي للحمـام وللبـلى وللارض همت بعـده برجيف
١٣ ألا يا لقومي للنوادي وللردى ودهر ملح بالكرام عنيف
١٤ وللبدر من بين الكواكب اذ هوى وللشمس لما ازمعت بكسوف
١٥ وللبيت كل البيت اذ يحملونه الى حفرة ملحودة وشـقيف
١٦ ألا قاتل الله الحدا حيث اضمرت فتى كان للمعروف غير عيوف
١٧ فان يك ارداه يزيد بن مزيد فرب زحوف لفهـا بزحوف
١٨ عليـك سـلام الله وقفا فانني ارى الموت وقاعا بكل شريف

وقد جاء في الحاشية بخط احدث من خط الكاتب الاول مانقله بحرفه قال : « الحدا في الاصل من بلاد اليمن ولما ظعن بعض من مراد الى الديار التي سميت بعدهين بديار ربيعة وهجم عليهم في مربعهم الجديد سبع تذكروا موطنهم الاول الذي تنتابه الوحوش فسموا موطنهم الجـديد باسم موطنهم القديم اي الحدا . وقد روى بعضهم في مكان الحدا الجثى وهي جمع جثوة وهي الربوة الصغيرة وجماعة الحجارة التي تقام على القبر والقبر نفسه وموطن في ديار ربيعة فيه ربوة

او جثوة ترى من بعيد» .

وبعد هذه النقول لا نرى راي حضرة الصديق المخلص ان الحشى هي التي تسمى الحسكة اليوم ، لو فرضنا ان رواية النسخة الخطية المصرية صحيحة لاغبار عليها وانها واضحة القراءة لا شبهة في انها الحشى اذ لا مجانسة بين الحسكة والحشى وان كان بادية العراق تلفظ الكاف جيما فارسية او عجمية لا لهذه الكلمة فقط بل لكل كلمة فيها كاف مثل سمك وشبك وشباك .. فانهم يلفظونها سمج وشبج وشباج بجيم مثلثة فارسية اي بين الجيم العربية والشين (راجع لغة العرب ٥ : ٦٣٨ حيث ذكرنا الحسكة ولفظها) .

اما رأينا الخاص فهو ان الكلمة الحقيقية هي الجثى (بضم ففتح) جمع جثوة لركام الحجارة الموضوعة على القبر ، لان اهل البادية يفعلون اليوم ما كان يفعله اجدادهم في سابق العهد وهو انهم اذا ارادوا دفن ميت لهم اختاروا له المرتفع القريب منهم حتى يهتدوا من بعيد الى ميتهم اذا ارادوا الاختلاف اليه ، وإلم يكن في جوارهم ارض مرتفعة وضعوا على قبره ترابا وسنموه ثم وضعوا فوقه ما تيسر لهم جمعه من الحجر او المدر ويسمون هذا المجموع الجثوة او الجثى كما سمعناها من لسانهم .

وفي ديار العرب عدة مواطن مسماة بالجثوة للاسباب التي ذكرناها وربما هناك من يذهب الى غير ما ذهبنا ، ولعل رأيه يكون غير بعيد من الحق بل يكون مقبولا . اما ان الحشى هي الحسكة فهذا ما نستبعده ولا سيما وهذه اللفظة حديثة الوضع .

وذكر ابن ابي الحديد في شرحه لنهج البلاغة (١ : ٤٤٣) اربعة ابيات من هذه القصيدة وهي كما يأتي : ايا شجر الخابور ، وما بعده باختلاف في بيتين وهما :

ولا الذخر إلا كل جرداء شطبة وكل رقيق الشفرتين خفيف
فقدناك فقدان الربيع وليتنا فديناك من سماداتنا بألوف